كلية : الآداب

القسم او الفرع : اللغة العربية

المرحلة: الثالثة

أستاذ المادة : أ.م.د. نهاد فخري محمود

اسم المادة باللغة العربية : النقد القديم

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Old Criticism

اسم المحاضرة الأولى باللغة العربية: النقد في عصر صدر الإسلام

اسم المحاضرة الأولى باللغة الإنكليزية :Criticism in the early-Islamic era

مقرر الفصل الأول

النقد في عصر صدر الإسلام

إنِّ الباحثَ في النقد العربي القديم لا ينبغي له ان يتوقع العثور على نصوص نقدية يقصرها أصحابها على الاعمال الادبية من شعر وخطابة في مرحلة الدعوة الأولى، وما ينبغي له ايضًا أن يطمح الى اكثر من تبيّن موقف الاسلام في الشعر، ولاشك في أنَّ الموقف في الشعر شيء، ونقد الشعر شيء آخر .

يبدو أنَّ إخضاع الموقف الجمالي للموقف الديني هو الذي يحرص عليه الاسلام ويؤكده ولاستجلاء موقف الاسلام من الشعر والتجربة الجمالية التي يولدها لابد من استعراض ثلاثة مواقف إزاء فن القريض، وهي على النحو الآتي:

١-موقف القرآن من الشعر والشعراء

في القرآن الكريم ذكر لثلاثة اشياء لها صلة بهذا الموضوع ، الشاعر، والشعراء، والشعر، وذلك في ستة مواضع :

أ- قولة تعالى (بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ)

ب- قولة تعالى (وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ)

جـ- قولة تعالى (أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ)

د – قولة تعالى (وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ)

هـ- قولة تعالى (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ)

و- قولة تعالى (وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ).

فالآيات الثلاث الاولى تبين موقف من تصوروا القرآن ضربًا من الشعر، ولم يؤمنوا بأنَّه وحي يوحي به الله الى نبيه محمد "ﷺ".

أما الآيتان (٤ ،٥) فتردان على هذا الموقف، وتؤكدان ان ما جاء به النبي محمد "ﷺ" ليس شعرا، وان محمدًا لم يعلّم الشعر وما ينبغي له ذلك. أما الآيات في الموضع السادس، فتتحدث عن موقف الاسلام من الشعر. نفهم من ذلك الآتي:

١-نفي الشاعرية عن النبي "ﷺ" ونفي أن يكون ما أتى به شعرا؛ لأن الباري . عز وجل . لم يعلِّمه الشعر ، ومن هنا يقول ابو زيد القرشي (كان رسول الله "ﷺ" لا يعرف الشعر، ولا يقوله ولكنه كان يعجبه استماعه).

٢-يقسم القرآن الناس من جهة اتباعهم فريقين، احدهم اتبع الباطل، والآخر اتبع الحق، ويصف الذكر الحكيم أتباع الشعراء وأتباع الشياطين بوصف واحد "الغاوون" .

٣-يفهم من الذكر الحكيم ان المضمون الشعري عند الشعراء غير المؤمنين يخضع لنزوات الشاعر وميوله ولضرورات النظم، فالشاعر يهيم في كل وادٍ ، وقد يقتاده النظم الى معانٍ لا يقصد اليها، وجملة القول إن هيجان نفس الشاعر عند الابداع يضعف سلطان العقل على القول ، فينقاد الشاعر وراء القول .

٤-يصف القرآن الكريم الشعراء بأنهم (يقولون ما لا يفعلون) ويبدو أن هذا الحكم خاص بشعر الفخر والمديح والنسيب والاغراض التي يدَّعي فيها الشعراء .

٥-يستثني الذكر الحكيم من الحكم السابق نفرًا من الشعراء عدّد لنا بعض خصائصهم (**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا**)

٢ـ موقف الرسول محمد "ﷺ" من الشعر

للرسول محمد "ﷺ" موقف صريح من الشعر، فهو القائل: (إنَّ من البيان لسحرا وإنَّ من الشعر لحكمة) لان الشعر لصيق بالنفس العربية، ويؤدي في المجتمع وظائف أساسية، فقد قال الرسول "ﷺ" :(إن هذا الشعر سجع من كلام العرب، به يعطى السائل، وبه يكظم الغيظ، وبه يؤتى القوم في ناديهم) وقال:(لا تدع العربُ الشعرَ حتى تدعَ الإبلُ الحنين).

إذ إن الموقف الإيماني هو المنشود قبل كل شيء عند رسول الله "ﷺ" والميزان الذي يزنُ به المصطفى "ﷺ" شعر الشعراء هو ميزان الاسلام والإيمان أيًّا كان حظ الشاعر من

الابداع، ففي الأخبار أنه أتى قومٌ رسولَ الله "ﷺ"، فسألوه عن أشعر الناس، فقال: ائتوا حسان، فأتوه، فقال: ذو القروح يعني امرأ القيس، فرجعوا فأخبروا رسول الله "ﷺ"، فقال: صدق، رفيع في الدنيا خامل في الآخرة، شريف في الدنيا وضيع في الآخرة، هو قائد الشعراء الى النار".

وغير خافٍ أن الموقف الإيماني للشاعر، إنما يتصل بالمضمون الشعري أكثرُ من اتصاله بالشكل، فقد روى صاحب الاغاني أنه سمع النبي "ﷺ" كعب بن مالك يقول :

مُقَاتَلُنا عن جِذْمنا كلَّ فخمة مذرّيةٍ فيها القوانس تلمعُ

فقال له: (لا تقل عن جذمنا ، ولكن قل: مقاتلنا عن ديننا)

ويروى أن كعب بن زهير: انشد قصيدته المشهورة:

إنَّ الرَّسُولَ لَنورٌ يُسْتَضاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِنْ سُيوفِ الهندِ مَسْلُولُ

قال له: (من سيوف الله، فأصلحها كعب)

من يتتبَّع الاخبار يجد الرسول "ﷺ" قد وظف الشعر في نصرة دعوته، فقد جاء في الأثر: أمرت عبد الله بن رواحة فقال وأحسن، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن، وأمرت حسان بن ثابت فشفى واستشفى، فالهجاء الذي أيَّده الرسول الكريم "ﷺ" هو الهجاء الموجَّه الى المشركين الذي يرمي الى نزع الشرك من النفوس وإزالة هالات التقديس عن آباء وأجدادٍ عاشوا في ظل الوثنية، ففي حديث شاعر الإسلام كعب بن مالك قوله: قال لنا رسول الله "ﷺ": (اهجوا المشركين بالشعر فإنَّ المؤمن يجاهد بنفسه وماله، والذي نفس محمدٍ بيده، كأنَّما تنضحونهم بالنَّبل) والفخر الذي أيَّده النبي "ﷺ" فخر يقيم الإسلام وتعاليمه.

أما المديح الذي يحسن لدى رسول الله "ﷺ" فهو المديح الذي يصوّر الحقيقة لا يتجاوزها، فالإسلام يريد من الشعر أن يظل في إطار الحقيقة، ففي الأثر أنَّ النبي "ﷺ" قال لحسان:(هل قلت في أبي بكر مثلا ؟ قال: نعم، قال: قلت وأنا أسمع قال:

وَالثَانِيَ اثْنَيْنِ فِي الْغَارِ الْمُنِيفِ وَقَدْ خَافَ الْعَدُوُّ بِهِ إِذْ يَصعدُ الْجَبَلَا

وَكَـانَ رِدْفَ رَسُولِ اللَّهِ قَـدْ عَلِمُـوا مِنَ الْبَرِيَّـةِ لَمْ يَعْدِلْ بِهِ رَجُـلَا

فضحك رسول الله "ﷺ" حتى بدت نواجذَهُ، قال: صدقت يا حسان، هو كما قلت).

يفهم من المناسبات الكثيرة أن " أحسن الشعر اصدقه" عند النبي "ﷺ" روى أبو هريرة (رضي الله عنه) أن النبي "ﷺ"، قال: (أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد :

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهُ باطلٌ وكلُّ نعيمٍ لا محالةَ زائل

وقال" ﷺ" حين سمع ابياتًا لسويد بن عامر، قال:(لو أدرك الاسلام لأسلم) وكان رسول الله "ﷺ" معجبا بشعر عنترة لما فيه من معانٍ جميلة دالة على الشجاعة ومكارم الأخلاق، فيقول:(ما وُصف لي أعرابي قط فأحببت أن أراه إلا عنترة) وحين سمع قول طرفة:

ستُبْدي لكَ الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ويأتيكَ بالأخبارِ من لم تزوَّدِ

قال: هذا من كلام النبوة

وعندما سمع قول عدي بن زيد :

عَنْ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارَنِ مقْتَدِ

فقال:(كلمة نبي ألقيت على لسان شاعر).

ويروى أنَّه أُنشد رسول الله "ﷺ" قول سحيم:

الحمدُ لله حمداً لا انقطاع له فليس إحسانه عنا بمقطوعِ

فقال: (أحسن وصدق فإنَّ الله ليشكرُ مِثلَ هذا، وإن سدَّد وقاربَ إنَّه لمن أهل الجنة).

وروي أنَّ النابغة الجعدي، قال:(أنشدت النبي "ﷺ")

بلغنا السماء عِفَّةً وتكرُّما وإنَّا لنبغي فوق ذلك مظهرا

فغضب، وقال: أين المظهر يا أبا ليلى؟ قلت: الجنة يا رسول الله، قال: أجل إن شاء الله تعالى، وتبسم، فقلت:

وَلا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَـهُ بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدَّرَا

وَلا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيمٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ القَومَ أَصْدَرَا

فقال النبي "ﷺ":" أجدت لا فض الله تعالى فاك مرتين، فعاش أكثر من مائة عام، وكان من أحسن الناس ثغرا" .